هلال شوال

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَنِ الأَحْدَبُ النَّشْوَانُ طافَ العَوَالِما
وأَوْمأَ إلى الشَّرق المُهلِّل باسِمًا ! ؟
يَدبُّ عَلَى ساقٍ مِنَ النُّورِ لَمْ تَدَعْ
عَلى الأَرضِ رُكْنًا مُظْلِمَ الأُفْقِ وَاجِمَا
وَيَمشِي كَمَا يَمْشِي نَبِيٌّ مُبَشِّرٌ
بِوَحْيٍ يَزُفُّ الخَطْوَ كالطَّيفِ حَالِمَا
وَيَرْنُو كَمَا يَرْنُو إِلَى اللهِ عَابِدٌ
يَكَادُ مِنَ الإِصْغَاءِ يُحْسَبُ نَائِمَا
لَهُ قَامَةٌ أَحْنَتْ يَدُ الدَّهْرِ عُودَهَا
فَهَلْ كَانَ شَيْخًا مِنْ حِمَى الخُلْدِ قَادِمَا ؟
تَحَرَّرَ ، وَاسْتَعْلَى ، وَأَقْبَلَ ، وَانْثَنَى
فَلَوْ كَانَ إِنْسَانًا لَقُلْتُ : حَيْرَانَ ، نَادِمَا !

يَشُقُّ عُبَابَ الجَوِّ ... لاَ بَحْرَ عِنْدَهُ
وَلاَ شَطَّ ! لَكِنْ يَذْرَعُ النُّورَ هَائِمَا ...
هَنَا طَرْفُهُ فِي الغَرْبِ وَجْدًا ! كَأَنَّهُ
يُرِيدُ انْبِثَاقَ النُّورِ لِلشَّرقِ دَائِمَا ...
أَطَلَّ رَخِيمَ النُّورِ تَحْسَبُ ضَوْءَهُ
تَحَمَّلَ إِيقَاعًا مِنَ الطَّيْرِ نَاغِمَا
هِلاَلٌ يَكَادُ المُسْلِمُونَ صَبَابَةً
يَطِيرُونَ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ حَمَائِمَا
أَشَارَ لِمَاضِيهِمْ بِكَفٍّ مُلاَلِئٍ
تَرَامَتْ حَوَالَيْهِ النُّجُومُ حَوَائِمَا
يُعَاتِبُ مَنْ أَغْفَتْ عَنِ النُّورِ عَيْنُهُ
وَكَانَ لِشَرْعِ اللهِ فِي الأَرْضِ هَادِمَا
وَمَنْ رَاحَ يَسْتَجْدِي المَسَاكِينُ قَلْبُهُ
فَمَا كَانَ وَهَّابًا ، وَلاَ كَانَ رَاحِمَا ...
وَمَنْ يَسْمَعُ الشَّكْوَى وَيَمْضِي كَأَنَّهَا
عَلَى سَمْعِهِ عَدْلٌ يُطَارِدُ ظَالِمَا ...
وَمَنْ حَفَّ لَيْلُ العَاثِرِينَ لِصُبْحِهِ
فَلَمْ يَكُ إِلاَّ مُظْلِمَ النُّورِ قَاتِمَا
وَمَنْ جَاءَهُ البَاكِي فَمَرَّ بِدَمْعِهِ
وَخَلاَّهُ مُنْهِلَّ الجِرَاحَاتِ سَاجِمَا
وَمَنْ هَزَّ وَسْوَاسُ النَّعِيمِ فَضَاءَهُ
وَخَيَّمَ فِي أَكْنَافِهِ الدَّهْرُ نَاعِمَا ؛
وَمَدَّتْ لَهُ الأَيَّامُ كَفًّا يَتِيمَةً
فَكَانَ لَهَا بَرْحًا يُعِيدُ المَآتِمَا
وَمَنْ تَزْخَرُ الدُّنْيَا جَمَالاً وَعِفَّةً
وَيَعْمَى فَيَسْقِي مِنْ يَدَيْهَا العَلاَقِمَا
وَمَنْ كَانَ مِثْلَ الشَّرْقِ تَغْلِي جِرَاحُهُ
فَيَتْرُكُهَا لِلدَّاءِ تَغْدُو مَغَانِمَا
مَضَى كُلُّ شَعْبٍ لِلسَّمَاءِ مُوَحِّدًا
وَنَحْنُ عَلَى البَلْوَى عَشِقْنَا التَّقَاسُمَا
حِمَانَا حِمَى الإِسْلاَمِ ، وَالنُّورِ ، وَالهُدَى
فَكَيْفَ غَدَوْنَا لِلعِبَادِ غَنَائِمَا !
وَمَا نَحْنُ إِلاَّ مُهْجَةٌ ، مَنْ أَثَارَهَا
أَثَارَ بِجَنْبَيْهَا اللَّظَى وَالسَّمَائِمَا
ثَمَانَا تُرَابُ الخَالِدِينَ ، وَضَمَّنَا
ثَرَى مَشْرِقٍ ضَمَّ العُلاَ وَالمَكَارِمَا
إِذَا قَلْبُ «لُبْنَانٍ» تَهَدَّ بِالأَسَى
سَمِعْتَ حَفِيفَ الأَرْزِ فِي النِّيلِ جَاحِمَا
وَإِنْ أَرْعَشَتْ مَوْجَ الفُرَاتِ كَآبَةٌ
رَأَيْتَ أُسَاهَا فِي رُبَى مِصْرَ غَائِمَا
وَإِنْ أَسْعَدَتْ مِصْرَ اللَّيَالِي سَمِعْتَهَا
حَدِيثًا بِقَلْبِ الشَّرْقِ رَيَّانَ وَاغِمَا
فَيَا (نِيلُ) خُذْ عَنَّا الزِّمَامَ وَطِرْ بِنَا
وَلاَ تَخْشَ لَيْلاَتِ الخُطُوبِ الغَوَاشِمَا

فى المجتمعات التى يدرسها علم الاجتماع ؛ فإن من ارتباط الناس بعضهم ببعض تظهر حياة جديدة مختلفة بالمرة عن حياة الأفراد لو عاش كل منهم وحده . إن الشرائع والمعتقدات الدينية والنظم السياسية والتشريعية والخلقية والاقتصادية ، وعلى العموم كل ما يكون الحضارة ، لا يوجد إذا لم يكن تحت مجتمع ما ، وبذلك فعلم الاجتماع غير علم النفس

هذا هو علم الاجتماع كما وضعه أوجست كونت

وقد اتسع نطاق العلم وتعددت ميادينه فى السنوات الأخيرة وتخصص له عدد كبير من العلماء وخاصة فى فرنسا ، ولا زال العلم محتفظاً إلى الآن بمبدئه الأساسى : مبدأ الجبرية الكلية فى المملكة الاجتماعية كما فى بقية ممالك الطبيعة الأخرى . ويعزز من هذا المبدأ ما يذكره علماء الاجتماع من أن هناك نظماً خلقية أو تشريعية أو عقائد دينية معينة توجد مشتركة بين جميع المجتمعات التى تتشابه فيها شروط الحياة الاجتماعية وظروفها . ومهما كانت تلك المجتمعات متباعدة بعضها عن بعض ، فإن تلك النظم تتشابه ، حتى الدقائق والتفصيلات .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أبو زيد